جذع مشترك علوم إنسانية

مقياس مدخل إلى الفلسفة العامة

المجموعة أ

الأستاذ: أمين طالبي، جامعة سطيف 2

المحور الثاني: في مباحث الفلسفة

مفتتح استشكالي:

للفلسفة موضوعات تشتغل عليها، وتمثل هذه الموضوعات المادة الخام التي يشتغل عليها الفكر الفلسفي، وهو ما يُصطلح عليه بـ " مباحث الفلسفة " والتي تعني جملة من الموضوعات التي تدرسها الفلسفة والتي لها حضورًا ضروريًّا لدى الإنسان، فهي تتخلَّل وجوده وتستغرقه وترتبط بمشكلاته القيمية والوجودية والمعرفية، كل ذلك يُدرس وفق طريقة تهدف إلى الوصول للحقيقة.

المحاضرة الخامسة: في مبحث المعرفة الإبستمولوجيا (Epistémologie)

تحاول الابستمولوجيا (مبحث المعرفة) أن تجيب عن الأسئلة التالية:

1) هل المعرفة ممكنة؟ وإذا كانت ممكنة فما هي حدودها؟
2) ما مسالك المعرفة أو بأي الطرق والمنابع نعرف ما نعرفه؟
3) ما هي طبيعة المعرفة؟ هل هي عقلية، أم تجريبية، أم مثالية؟

كثيرا ما يتردّد على مسامعنا مصطلح ابستيمولوجيا والذي نجد له حضورا في جميع الفروع العلمية والمحافل الأكاديمية، وعادة ما يتم ربط الابستيمولوجيا بنظرية المعرفة من حيث المعنى. غير أن الحفر المعرفي واللغوي لكلمة ابستيمولوجيا نجد أنها لفظ إغريقي قائم على حاصل التركيب الإضافي من مقطعين / كلمتين هما:
epistemo وتعني معرفة؛ و Logos وتني علم، وكما هو معروف في سمية العلوم اليونانية غير أنّ المعنى الحرفي لكلمة ابستسمولوجيا هو علم المعرفة، أو علم العلم، أو نظرية المعرفة، أمَّا المعنى المعاصر لكلمة ابستيمولوجيا فتعني " الدراسة النقدية للمعرفة العلمية.

إنّ الابستمولوجيا بوصفها مبحثا مستقلاً موضوعة المعرفة العلمية لم تنشأ إلا في مطلع القرن العشرين حين اتجهت إلى تحديد الأسس التي يركز عليها العلم والخطوات التي يتألّف منها ومن ثم نقد العلوم والعودة غلى مبادئها العميقة، من هنا، فالابستمولجيا بوصفها الدراسة النقدية للعلم تختلف عن نظرية المعرفة، ففي حين

تتناول نظرية المعرفة la théorie de la connaissance عملية تكوُّن المعرفة الإنسانية من حيث طبيعتها وقيمتها وحدودها وعلاقاتها بالواقع، وهي بهذا، تبرز اتجاهات اختيارية وعقلانية ومادية ومثالية، وعليه، فإنّ موضوع الابستمولوجيا ينحصر في دراسة المعرفة العلمية فقط.

وإذا كانت الإجابات التي تقدمها نظرية المعرفة اطلاقية وعامّة وشاملة فإن الابستمولوجيا تدرس المعرفة العلمية في وضع تاريخي محدد دون التطرق لاجابات مطلقة، بل إن الإبستموووجيا ترى في التعميمات الفلسفية لنظرية المعرفة عائقًا أمام تطور المعرفة العلمية، بيد أن التَّصوُّرات الزائفة عن المعرفة تؤثر سلبيا في مجال المعرفة العلمية.

في الفرق بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا:

قبل أن نحاول التعرُّف على مصطلح نظرية المعرفة والمصطلحات التي تشترك معها وتتقاطع معها دلاليا ومفهوميا ويتعلق الأمر هنا بالتقاطع بين مفهومي نظرية المعرفة والابستمولوجيا، ولمحاولة إبراز ملامح الفرق والعلاقة بين المصطلحين، لابدّ -وعلى سبيل ما هو مُتعارف عليه منهجيا- أن نوّضّح ما المقصود بالمعرفة.

إن كلمة معرفة تُحيل إلى فعل المعرفة؛ كما تُحيل إلى الشيء المعروف؛ فالمعرفة هنا تستجمع في عناصرها المفهومية فعل الذات المفكِّرة. وهو ما يمكن وصفه بالاتصال بين الذات المُدركَة والموضوع المُدرِك. ومن هنا يظهر الاختلاف الحاصل بين نظرية المعرفة،والابستمولوجيا، فلسفة العلوم، خاصة وأنّ هذا الاختلاف يجد مبرراته في تحوُّلات المعرفة العلمية لتفرز مجموعة من المفاهيم بقدر تختلف فهي تتقاطع بهذا القدر أو ذاك.

يُعرّف أندري لالاند André lalande الابستمولوجيا على أنها: « فلسفة العلوم (ثم يضيف) ولكن بمعنى أكثر خصوصية، فهي ليست بالضَّبط دراسة المناهج العلمية، هذه الدراسات التي هي موضوع الميتودولوجيا والتي تشكل جزءًا من المنطق وليست كذلك تركيبا أو استباقا للقوانين العلمية، وإنما هي أساسا الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم ولفروضها ونتائجها بقصد تحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية. »

في هذا التعريف بالذَّات يظهر جليًّا التَّمييز بين حقلين معرفيين هما: الابستمولوجيا والميتودولوجيا Méthodologie وفلسفة العلوم، والواضح أن أندري لالاند في تعريفيه لم يتعرَّض لذكر نظرية المعرفة Gnoséologie أو théorie de la connaissance لأنها في نظره ونظر الفرنسيين بشكل عامّ، تختلف عن الابستمولوجيا بمعناها الدقيق والخاصّ. وإن حرص لالاند على التمييز بين هذه الأنواع من الدراسات والحقول المعرفية، التي تتناول بشكل خاصّ المعرفة البشرية موضوعًا لها. فالابستمولوجيا تتناول بالدراسة والبحث المعرفة البشرية وبيان قيمتها وحدودها، ومثل هذا تقريبا يفعل الانجليز والطليان إذ مجمعون تحت مصطلح ابستسمولوجي تلك الدراسة النقدية التي أشار إليها لالاند أما الألمان فهم يميزون في لغتهم بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا وأن كانوا يعنون بهذا المصطلح الأخير فلسفة العلوم.

وإذا حاولنا التدقيق في العلاقة بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة توجب علينا إبراز الوظيفة العملية التي تقدمها لنا والحاجة لها في بناء العلوم وتاريخها ومن هنا، فالابستمولوجيا ليست استمرار لنظرية المعرفة في

الفلسفة،بل هي تغيير كيفي في النظر إلى علاقة الفلسفة بالعلم، وتجاوز للتناقض بين نظرية المعرفة والعلم وليس هذا فحسب بل إن الابستمولوجيا أتت على ما يعرف بفلسفة العلم التي تولدّت من علاقة الفلسفة بالعلم، وتناولت جملة موضوعات أهمها علاقة العلم بالمجتمع وتأثيره في تكوُّن النظرة الفلسفية إلى الطبيعة والكون، أما من حيث الاختلاف بين العلم والابستمولوجيا فإن منطق العلم أقرب إلى المباحث إلى الابستمولوجيا ذلك أنه يحلل لغة العلم تحليلا منطقيا ويبحث في مناهج الكشف العلمي ومنطقه.

ومن المعلوم أن مبحث المعرفة أو الابستمولوجيا يُعدّ المبحث الثاني في البحث الفلسفي وتهتم عمومًا بدراسة وتحديد مفهوم المعرفة وإمكانية قيامها. ويتساءَل مبحث المعرفة عن الحدود التي تقف عندها المعرفة البشرية. كما تتناول نظرية المعرفة أيضًا المسائل الأساسية الأربعة وهي:

1) أصل المعرفة البشرية ومصدرها
2) طبيعة المعرفة البشرية
3) صدق المعرفة البشرية من كذبها (إمكانية التمييز بين المعرفة الصادقة والكاذبة)
4) حدود المعرفة الصَّادقة عن الكاذبة.

جدول يوضح الفرق بين الابستيمولوجيا، الميتودولوجيا، نظرية المعرفة، وفلسفة العلوم حسب "أندريه لالاند".

الإبستيمولوجيا pistémologieÉ	الميتودولوجيا Méthodologie	نظرية المعرفة Théorie de la connaissance	فلسفة العلوم Philosophie des sciences
تدل على فلسفة العلوم وهي ليست فلسفة المناهج، هي الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم وفرضياتها ونتائجها الرامي إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها . ومداها الموضوعي	فرع من المنطق، موضوعه الدرس اللاحق للمناهج والطرق ونحو أخص عادة، درس المناهج العلمية.	دراسة العلاقة القائمة بين الذات والموضوع في فعل المعرفة، تُفضي إلى تحديد قيمة العلم: «يُطلق اسم نظرية المعرفة على مجموعة تنظيرات هدفها تحديد قيمة معارفنا وحدودها».	تعبير متأخر قليلا، أظن أن أُستعمل بادئ الأمر بمعنى مجموعة دراسات أو اعتبارات تمثل درجة رفيعة من العمومية، وترد كل المعرفة البشرية إلى عدد صغير من المبادئ. شاع استعماله في فرنسا.

المذاهب الفلسفية الكبرى في نظرية المعرفة:

يُمكن حصر المذاهب الفلسفية حول نظرية المعرفة وتفسيرها إلى ما يلي:

أ. **مذهب الحسيين:** القائلين بأنّ الحواس هي الوسيلة الوحيدة إلى المعرفة.

ب. **مذهب العقليين:** القائلين بأن العقل وحده هو الوسيلة الوحيدة للمعرفة.

ت. **مذهب الشكاك:** القائلين بأن المعرفة الصحيحة غير ممكنة مطلقا لأن الحواس تخدع والعقل يخطئ

ث. **مذهب المتصوفة:** القائلين أنّ الإنسان يستطيع إدراك الحقائق العليا بالإلهام والكشف.

ج. **مذهب البداهة لمباشرة:** قائلين أن الإنسان يدرك وجود الله والمسائل الروحية التي وراء الحس والعقل إدراكا مباشرا بغير واسطة العقل.